

**قَالَ تَعَالَى:** ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ  
 أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
 ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ  
 إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ  
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ  
 ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾

الزمر: ١١ - ١٦

## الهدف الأساسي من سورة الزمر

(039) سورة الزمر

اللقاء الرابع من تفسير سورة الزمر- شرح الآيات 11-18

2022-02-05

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مع اللقاء الرابع من لقاءات سورة الزمر، ومع الآية الحادية عشرة من السورة، وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11)

[ سورة الزمر ]



سورة الزمر هي سورة التوحيد

هذه الآية الكرام تصرح بالهدف الأساسي من سورة الزمر، قلنا: سورة الزمر هي سورة التوحيد، تجريد وعبودية لله تعالى وحده لا شريك له، كل آياتها تدور حول هذا المعنى، هذه الآيات الآن توضح المقصود من السورة بشكل واضح جلي، بشكل مباشر، الآيات الأخرى تعبر عن المعنى بطرق أخرى، لكن هنا بالطريقة المباشرة (قُلْ) يا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخفى عليكم ما في قوله: قل، وقد مر معنا قبل ذلك قل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۖ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۖ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
(10)

[ سورة الزمر ]

(قُلْ) لا يخفى ما فيها من التنبيه، أي عندما يقول تعالى لنبيه: (قُلْ) فهناك شيء مهم ينبغي أن تستمع إليه، فإله لا يأمر نبيه إلا بما فيه خيرنا وصلاحنا.

من أصلح دينه وأخلصه لله تعالى عُصِمَ من الزلل والخطأ:



تستدل على أهمية الأمر من الأمر

(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) الأمر هو الله، والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا الأمر مهم جداً، أنت كيف تستدل على أهمية الأمر؟ من الأمر، ثم بعد ذلك من المأمور بالأمر، فإذا كان الأمر هو (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ) أي أمرت من قبل الله تعالى، بني الفعل للمجهول لوضوح ودلالة الأمر، ما قال: قل إنني أمرني الله (أُمِرْتُ) لأن الأمر معلوم، أحياناً نخفي الفاعل لأنه مجهول، فنقول: بشرق البيت، لأننا لا نعلم من سرق البيت، لكن أحياناً نخفي الفاعل لشدة العلم به، فنقول: خلق الإنسان، لأن الله هو الخالق وانتهى الأمر، (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ) فالأمر هو الله، والمأمور هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتمته من بعده، فكل أمرٍ للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم تقم قرينة على خصوصيته فهو لأتمته من بعده، وفي الحديث الصحيح:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أُنْبِئُهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، <span>

</span> } وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ </span>

[أخرجه مسلم والترمذي]

فنحن مأمورون بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل من باب أولى، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم يُؤمر، فمن باب أولى أن نُؤمر نحن أتباعه صلى الله عليه وسلم.

(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) الدين كله عبادة خالصة لوجه الله قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold;"> وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ </span> حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ  
دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)

[ سورة البينة ]

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ) حصر وقصر، كل ما أمر به الناس أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، فإن عبدوا الله غير مخلصين له الدين فما حققوا الهدف من خلفهم، وإن ادعوا أنهم يخلصون لله، ولكنهم لم يلتزموا العبادة له بالشكل المطلوب فما حققوا الهدف الذي خلقوا من أجله، فلا بد من أن تكون عبادة، ويكون إخلاص فيها لله تعالى، لا تنفع عبادة بغير إخلاص، وإدعاء إخلاص بغير عبادة، لا ينفع هذا ولا ذاك، فقال: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) الدين: من دان بدين للشيء إذا رجع إليه، يدين به؛ يرجع إليه، وكان من أكثر ادعية النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: **اللَّهُمَّ** أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ }

لأن الإنسان عندما يصلح دينه ويخلصه لله تعالى، فيه: **(عِصْمَةٌ أَمْرِي)** يعصمه من الوقوع في الزلل، والخطأ، والعبث، وغير ذلك، **(فُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)**.

## النبي الكريم أول خلق الله في الرتبة وأول المسلمين إسلاماً في الزمن والرتبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12)

[ سورة الزمر ]

هو **(وَأُمِرْتُ)** أن أعبد، لماذا قال؟ **(وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ)** ما قال أن أكون؟ هناك يوجد محذوف، أي **(وَأُمِرْتُ)** بذلك الأمر **(لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** هذه لام التعليل، لماذا أمرت بالعبادة المخلصة لله تعالى **(وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)**؟



كلمة أول تطلق على شيتين:

كلمة أول تطلق على شيتين: الشيء الأول أي الأول زمنياً، فتقول مثلاً: هذا الطبيب هو الطبيب الأول الذي تخرج في هذه البلدة، أنت تعلم أنه قيل أن يكون هذا الطبيب موجوداً لم يكن هناك طبيب متخرج من الجامعة، كان الناس يستشيرون الحلاقين مثلاً سابقاً، وهذا أول طبيب في دمشق، تقصد أول طبيب بالزمن، أول متخرج في جامعة دمشق فرضاً، طبيب بسوريا، هذا أول بالزمن، أول واحد، لكن هناك أولية أيضاً في الرتبة، تقول: هذا أول طبيب في المدينة، أي ما كان قبله أطباء؟ لا، كان، لكن هو أول واحد بالرتبة، أي أحسن طبيب، أكثر الأطباء خبرة، فأول تطلق يراد بها الأول زمنياً، وبعدها يأتي الثاني والثالث والرابع، ويراد بها الأول تفوقاً، رتبةً.

النبي صلى الله عليه وسلم كان الأول زمنياً لأنه أول من أسلم من الناس، وتلقى هذه الرسالة، ثم نقول نحن: أول من أسلم به من النساء خديجة، آمن به، لكن هو الأول في استسلامه لله، والاستجابة لمنهج الله، وعبادته، وإخلاصه لربه، فهو كان الأول في دين الله عز وجل زمنياً بلا شك، وكان الأول رتبةً صلى الله عليه وسلم لأنه ما عرف الله أحدٌ كما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا وصل إلى عبادة الله عز وجل أحد كما وصل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحن جميعاً ما عبدنا الله حق عبادته، وما شكرناه حق شكره، لكن نبينا صلى الله عليه وسلم هو الأول في العبادة.

{ عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: ربيبُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أَيْقَبِلُ الصَّائِمَ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: سلْ هذه - لأُمَّ سلمة - فَأَجْرُهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أما والله **<span style="font-weight:bold">**

لأتفأكم لله، وأحشأكم له **<span style="font-weight:bold">**

صلى الله عليه وسلم، هو الأعبء، هو المثل الأعلى، هو الأسوة، فهو الأول رتبةً صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء، و بين جميع الخلق، فهو أول خلق الله في الرتبة، وأول المسلمين إسلاماً في الزمن والرتبة.

### على الإنسان أن يكون الأول بعبادته والأول بكل شيء:

نستفيد من هذه الآية نحن **(وَأَمْرٌ أَنْ أكونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** أن تكون أنت الأول دائماً، الإسلام لا يريد منك أن تكون ذاك المسلم الذي يقول: إذا تمكنت ودخلت الجنة خلف الباب فأنا راض بذلك، لا، لماذا خلف الباب؟ إذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس الأعلى من الجنة، لماذا لا تطمح أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ في الدنيا لماذا تريد أن تكون طبيياً بسيطاً؟ لماذا لا تأخذ اختصاصاً عالياً وتعالج الناس؟ لماذا تكون التاجر البسيط؟ لماذا لا تكون التاجر القوي الذي يدفع زكاة ماله للآخرين؟ في كل شيء لماذا لا تكون الأول؟ هذه كلمة أول تشير إلى أهمية التفوق سواء في الدنيا، أو في الدين، طبعاً الحديث هنا في الدين، لكن ينسحب على الدنيا لأن المسلم:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ»**، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن ' لو ' تفتح عمل الشيطان }



القوي قادر على أعمال صالحة لا يستطيعها الضعيف

الخبرة موجودة في الضعيف وفي القوي لكنها في القوي أعظم، لأن القوي قادر على أعمال صالحة لا يستطيعها الضعيف، إذا كان قوياً بالمال يدفع زكاته، فتكون يده هي العليا، وإذا كان قوياً بالخبرة يُعلي شأن دينه، إذا كان خبيراً بالتكنولوجيا، بالتجارة، أو بأي شيء، إذا كان قوياً بمنصبه يحق حقاً ويبطل باطلاً، فإذا استطعت أن تكون قوياً، وطرق القوة سالكة وفق منهج الله فعلى بركة الله، أما إذا كانت طرق القوة لا تكون إلا على حساب دينك فعندها الضعف وسام شرف لك، لأنك لا يمكن أن تتخلى عن دينك لتكون قوياً، لكن إذا سلكت الطريق وأنت تحافظ على دينك ووصلت إلى القوة فهذه نعمة كبيرة.

فلذلك الحديث: **(المؤمن القوي)** ليس القوي، أي إنسان يكون قوياً، نحن نريد المؤمن، ثم القوي، القوي بإيمانه، القوي بمنهج ربه وليسست القوة المجردة عن الإيمان، لأن القوة المجردة عن الإيمان رأينا ماذا صنعت، صنعت قبائل عنقودية، وانشطارية، وبراميل متفجرة، القوة بلا إيمان صنعت الدمار، لم تصنع حضارة، لكن المؤمن القوي يصنع حضارة.

فالأول هنا أول في كل شيء، كن **(أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** أولهم قرباً من الله، أولهم عبادة، أولهم عملاً صالحاً، أولهم تقرباً إلى الله، أولهم إحساناً لخلق الله، أولهم برأً بوالديك، أولهم محبةً لعباد الله، كن أولاً **(وَأَمْرٌ أَنْ أكونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** أي وأمرت بتلك العبادة **(لأن أكونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** بعبادتي لله أكون الأول إن شاء الله.

### أعظم رفعة للإنسان أن يكون عبداً لله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13)

والله هذه الآية مخيفة، لأن الله تعالى يخاطب نبيه المعصوم، يقول له: **(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)** هذا مقام العبودية، النبي صلى الله عليه وسلم بشر وعبد لله، ولما كان في أعظم حالاته وهو في معجزة الإسراء والمعراج قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**<span style="font-weight:bold">سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ</span> لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا  
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)**

[ سورة الإسراء ]



العبودية لله مقام رفيع

وكان يخيل إلينا أن يقول: سبحان الذي أسرى برسوله، أو بنبيه، للدلالة على مكانته، لأنه لو لم يكن رسولاً ونبياً لما أسرى به، لأن هذه معجزة، والمعجزة للأنبياء، لكنه أراد أن يعلمنا أن الإنسان وهو في قمة رفعة أعظم رفعة له أن يكون عبداً لله، فقال: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)** فالنبي صلى الله عليه وسلم ما انفك عن عبوديته لربه لحظة واحدة، يعيش العبودية، ولما خُبر بين أن يكون عبداً نبياً، أو أن يكون نبياً ملكاً، اختار أن يكون عبداً صلى الله عليه وسلم، اختار مقام العبودية لله، ليست العبودية لله عز وجل حالة اضطرارية، أو إجبارية أنه ليس لنا إلا أن نعبد الله، مقام، مقام رفيع، أنا عبد لله، أتحقق من عبوديتي له، أطيعه فيما أمر، وأنتهي عما نهى وزجر.  
فقال: **(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي)** والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعصي ربه، قد عُصِمَ، لكن رغم ذلك يعلمنا ويؤدبنا به صلى الله عليه وسلم، المعصية هي مخالفة الأمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ <span style="font-weight:bold">عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى</span>  
<Span/> (121)

[ سورة طه ]

خالف الأمر، لا تأكل من هذه الشجرة فأكل، هذه المعصية، لا تطلق البصر، أطلق البصر، صلّ، لم يصلّ، خالف الأمر، فأتى ما نُهي عنه، وترك ما أمر به، هذه المعصية، **(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)** وصف يوم القيامة بأنه يوم عظيم فإذا كان اليوم عظيماً فالعذاب به عظيم، ثم يؤكد المعنى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (14)

[ سورة الزمر ]

الآية الأولى: **(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)** الثانية: **(قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي)** طبعاً الآيتان فيهما حصر وقصر، لأن **(أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)** إذا العبادة لله وحده، الإخلاص هو التوجه لله وحده، الثانية فيها حصر وقصر حيث قدم لفظ الجلالة، هناك قال: **(أَعْبُدُ اللَّهَ)** هنا قال: **(قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ)** زيادة في التوكيد والحصر، والقصر، أي لا أعبد إلا الله **(مُخْلِصاً لَهُ دِينِي)** في الآية الأولى **(مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)** عموماً هنا **(دِينِي)**، يوجد دين، ويوجد ديني.

## الدين منهج إلهي متكامل لا يحتاج إلى إصلاح ولا إلى تغيير:



الدين من عند الله لا يحتاج إلى إصلاح

الدين من عند الله عز وجل لا يحتاج إلى إصلاح، ولا إلى تغيير، ولا إلى تعديل، ولا إلى حذف، ولا إلى زيادة، بل إن أي إنسان يريد أن يحذف من الدين شيئاً فكأنه يتهم الخالق بالزيادة، وأي إنسان يريد أن يزيد على الدين شيئاً فكأنه يتهم رب الدين جلّ جلاله بأنه ترك شيئاً لم يعلمنا إياه، فهو يريد أن يزيد، فلذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحِمُّ الْجَنْزِيرُ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفِقَةُ وَالْمُؤَفَّقَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّبْتُمْ وَمَا  
دُيْعٌ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تُسْتَفْسِمُوا بِالْأَرْزَامِ ذَلِكَمْ فَسَقُ الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْسَبُوهُمْ وَاحْسِنُوا  
**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** قَمَنْ اضْطَرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرِ  
مُتَخَافٍ لِإِنَّمِ قَائِلَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)

[ سورة المائدة ]

فالدين هو المنهج الإلهي المتكامل، ديني هو طريقة عودتي إلى الله وفهمي لهذا الدين، وهذه قد يكون فيها الصواب، وقد يكون فيها الخطأ، لذلك الدعاء:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: **اللَّهُمَّ**  
أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي  
فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ }

[ أخرجه مسلم ]

أي الذي يفهم الدين على أنه فقط صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، هذا عنده مشكلة في دينه، لأن الدين الذي أرادته الله لا يعني فقط العبادات الشعائرية، بل هو منظومة أخلاقية متكاملة بالإضافة إلى العبادات الشعائرية، الذي يفهم الدين أنه انتفاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**أَفْتُونُونِي** بِنِعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِنِعْضِ **قَمَا جَرَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي**  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِئْسَ الْقِيَامَةُ يَرْدُونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)

[ سورة البقرة ]



#### غض البصر صعب جداً

انتقاء، الحج جميل مرة بالعم، يرجع يقيمون له الزينات، ويستقبلونه، فالحج طريف، هذا نفعه، يصبح: الحاج فلان، أما الصلاة؛ خمس صلوات في اليوم، هذه صعبة، مثلاً أنا لا أقدر، أصلي الجمعة مثلاً، بالأعياد، هذه مشكلة، هذا يتنقى، الذي يفهم صلاة، وصياماً، و حجاً، أفعلهم، لكن غض البصر صعب جداً، هذا ليس لهذا الزمن أخي، زمننا لا يوجد فيه غض بصر، هذا دين انتقائي، هذا يحتاج إلى: (اللهم أصلح لي ديني) الذي يفهم الدين ليس له علاقة بالمعاملة مع الناس بسوء للناس، ويظلمهم، ويقول لك: إيماني، وأنا أؤدي صلاتي، و زكاتي، هؤلاء الناس لا يتعاملون غير ذلك، هذا لا يفهم الدين بشكل صحيح، المرأة التي تقول لك: أنا أمشي بلا حجاب بالطريق لكن أنا ديني في قلبي قوي، أنا أوزع إيماناً على بلد، لا علاقة لكم بهذه الخرفة التي على رأسي، هذه لا تفهم الدين، هذه تحتاج إلى: (اللهم أصلح لي ديني) دينها فيه مشكلة، ليس الدين وإنما دينها، أي طريقة تدينها، طريقة فهمها للدين فيها مشكلة، لأنها فهمت الإيمان ليس له علاقة بالشعائر، له علاقة فقط بالقلب، والذي يفهم أنه فقط بالشعائر وليس له علاقة بالقلب أيضاً يحتاج إلى: (اللهم أصلح لي ديني)، ففضية التدين هي فضية فهمنا للدين، وهذه دائماً ينبغي أن نراقبها، أن ندعو الله بصلاحها لأن كل واحد يقول لك: أنا أفهم التدين، المتشددون الذين يحدفون من الدين أحاديث، ويؤولون آيات، ويلوون عنّي النصوص، هؤلاء عندهم مشكلة بالتدين، والمتطرفون من الطرف الآخر الذين يفهمون الدين سبياً وقتلاً، أيضاً ما فهموا الدين، لذلك نحتاج إلى أن نراقب تديننا دائماً ليكون موافقاً للدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

فهنا: (فَلِ اللَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي) أي ديني الذي أدين لله تعالى به، وأكرر من أجل متابعة الكلام.

### الخسارة في الدنيا مهما عظمت لا تساوي شيئاً أمام خسران الآخرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15)

[ سورة الزمر ]

أولئك الآن المشركون، أنا مخلص لله، لكن (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) أتم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)

[ سورة الكافرون ]





القطيفة هي الثياب الأنيقة

**(فَاعْبُدُوا مَا سِئَلْتُمْ مِنْ دُونِهِ)** أي الحجر، والصنم، المال، عبد الدينار، عبد الدرهم، عبد القطيفة، عبد الخميصة، الخميصة؛ يعبد بطنه، أي من أجل أن يأكل ما لَدَّ وطاب، أي يعصى ربه من أجل بطنه، والقطيفة؛ الثياب الأنيقة، يريد دائماً أن يشتري الثياب من الماركات العالمية الشهيرة، فالمبلغ الذي يأتيه لا يكفي فيرتشي حتى يلبس أجمل الثياب، فهذا عبد القطيفة.

**(فَاعْبُدُوا مَا سِئَلْتُمْ مِنْ دُونِهِ فُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)** هنا يوجد تعريف، ما معنى التعريف؟ التعريف هو كلمات جامعة مانعة توازي المعرف، التعريف فن، له قواعد مهمة جداً، مثلاً التعريف لا يكون بغاية الشيء، مثلاً لو قلت لك: ما هو الهاتف؟ قلت لي: الهاتف هو الجهاز الذي تتكلم به مع الآخرين، ونصور به المحاضرات، هذا ليس تعريفاً، بالفلسفة، بالمنطق، هذا ليس تعريفاً لأنك عرفت بمهمته، هذه أهداف الهاتف إذا أردت أن تعرفه فيجب أن تعرفه بماهيته، هو جهاز مثلاً، لا ادري إذا كان صحيحاً، لكن مثلاً هو جهاز تستطيع من خلاله التواصل، فرضاً، أو هو جهاز له كفر، وله داخل، تعرف الشيء بماهيته، بحقيقته، وليس بأهدافه، أو بأسبابه، فأنت مثلاً عندما تقول: الخاسر، من هو الخاسر؟ الآن نحن لو عرضنا كلمة الخاسر، من هم الخاسرون على جمع من الناس، يقوم تاجر ويقول لي: الخاسر الذي احتفظ بأمواله بالليرة السورية من عشر سنوات، و الليرة السورية كانت بخمسين، صارت بثلاثة آلاف وستمئة، وأمواله كانت تعادل مئة ألف دولار، صارت تعادل ألفي دولار، هذا الخاسر، خسر، شخص ثان قد يقول لي: والله الخاسر الحقيقي هو الذي خسر منصبه، كان وزيراً، وتحت يده خمس سيارات، واحدة للبيت، وواحدة لابنه، وكذا، وأوامره مطاعة، فجأة خلعوه من منصبه، وهذه أعظم خسارة، هذا الخاسر، والخاسر هو الذي توفيت أمه، هذه أرقى قليلاً، أي بدأ يتكلم بالقيم، خسر أمه، خسر أخاه، خسر أصدقاءه، توفي ابنه، خسائر.



الخسارة في الدنيا تنتهي بالموت

الآن نحن نريد تعريف الخاسر من الله، الله يقول لك: **(فُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** الباقي لا يسمى خاسراً، إلا لغة، لغة يسمى خاسراً لكن حجم الخسارة ليست شيئاً لأنها خسارة في الدنيا تنتهي بالموت، فليس لها قيمة، لو خسر كل ماله، المشكلة كم تطول حتى تنتهي، عمره أربعون سنة، أربعون سنة تأتية تنتهي المشكلة، الخسارة في الدنيا مهما عظمت لا تساوي شيئاً أمام خسران الآخرة، فالآن ربنا يعرف لنا الخاسرين، قال: **(فُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** ليس في الدنيا، يوم القيامة، الظرف المكاني يوم القيامة، ما الذي حصل؟ **(خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ)** خُلِقَ للجنة فأوردتها النار، خسر نفسه، **(وَأَهْلِيَهُمْ)** لأن الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**<span style="font-weight:bold">يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ </span> عَنِهَا مَلَائِكَةٌ  
 غَلاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)**

[ سورة التحريم ]

فخسر نفسه، وخسر أهله يوم القيامة، هذا يقال عنه: خاسر.

قال: **(أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)** ألا: أداة استفتاح للتبيين، مهمتها التبيين أي اتبه يوجد شيء مهم سأفوله لك **(أَلَا ذَلِكَ)** اسم إشارة **(هُوَ)** ضمير فصل للتوكيد، كان يمكن أن يقول: ألا ذلك الخسران **(هُوَ)** تسميه فصلاً، هذا ضمير زائد ما مهمته؟ التوكيد **(هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)** هذا الخسران الواضح، الجلي، المبين، غيره ليس خسراناً مبيناً، غيره خسران تمر، وتنتهي، وكأنها لم تكن، مهما خسر الإنسان في الدنيا، لكن الخسران المبين أن يأتي يوم القيامة فيكتشف أنه أورد نفسه النار، وأورد معه زوجه وأولاده النار، لأنه لم يأمرهم ولم ينههم ولم يحافظ على أسرته.



{ عن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة رحمه الله قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو، إذ جاءه فَهْرَمَانٌ له فدخل، فقال: أعطيت الرقيق قُوْنَهُمْ؟ قال: لا، قال: قَائِطِيقٌ فَأَعْطَيْتَهُمْ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: كفى بالمرءِ إثمًا أن يَحْسِنَ عَمَن يملك قُوْتَهُ. أخرجه مسلم. وأخرج أبو داود المسند منه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **كفى بالمرءِ إثمًا أن يُصَيِّعَ مَنْ يَقُوْتُ** } <Span/>

[أخرجه مسلم وأبو داود]

(أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ).

إنذار العصاة بالنار:

ثم قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَهُمْ مِنْ قُوْفِهِمْ ظُلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ ذَلِكَ بِخَوْفِ اللَّهِ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ قَاتِلُونِ (16)

[ سورة الزمر ]

ظلل؛ جمع ظلة، والظلة؛ هي ما يعلوك، مثل الغيم، الغيم ظلل، الشيء الذي يعلوك سيظللك، والناس تحب الظل، لأن الظل خاصة في أيام الصيف الحارة إذا وجدت ظل شجرة تجلس تحتها فتسر، فالظلل هي في الأصل شيء محبب.



الظل المشتعلة أشد من حرارة الشمس

هنا من باب التهكم، الظل من النار (لَهُمْ مِنْ قُوْفِهِمْ ظُلٌّ مِنَ النَّارِ) أنت تجلس تحت الظل من أجل أن تقيك حرارة الشمس العالية، فكيف إذا وجدت ظلاً مشتعلة، هذا أشد من أن تواجه حرارة الشمس فوراً مثلاً (لَهُمْ مِنْ قُوْفِهِمْ ظُلٌّ مِنَ النَّارِ) الله أكبر!

قال: (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ) الذي تحت الإنسان لا يسمى ظلاً، ما يظله يسمى ظلاً، فلماذا قال؟ (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ) هذا من باب المشاكلة في اللغة، أي سمي ما فوقه ظلاً فسمى ما تحته أيضاً (ظُلٌّ) وهذا من باب المشاكلة، وقد ذكرناه مرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ <Span/> فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ  
يُمِئِلُ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)

[ سورة البقرة ]

أنا لا أعتدي على من اعتدى عليّ، أنا أريد اعتدائه، لكن من باب المشاكلة سماه عدواناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16)

[ سورة الطارق ]

الله تعالى لا يكيد بالمعنى الحرفي للكيد، الكيد شأن الصغفاء، الله يجازي على الكيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ <span style="font-weight:bold">وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ  
خَبِيرُ الْمَكِيرِينَ (30)

[ سورة الأنفال ]

هذا من باب المشاكلة، فالمشاكلة في اللغة أن تسمى الشئين باسم واحد، فهنا سمي الظلل، و قال أهل العلم معنى لطيفاً، قال: النار دركات، فما يكون تحت الإنسان هو ظلل لمن في الدركات التي تحته، أي أنا هنا فوقي سقف، وتحتي أرض، لكن الأرض التي تحتي هي سقف لمن تحتي بالطابق الأسفل فهي ظلة له، وأرض لي، فهي ظلل (لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) لأن النار دركات والعياذ بالله، كما أن الجنة درجات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold">إِنَّ الْمُتَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ <span>وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ تَصِيْرًا (145)

[ سورة النساء ]

كما جاء في الآية الكريمة.

من يدرك عظمة الله يخاف منه:



كل الناس عبيد لله (ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ) هذه الظلل يخوفنا الله تعالى بها، الله يندرنا يا عبيدي هناك نار لمن عصياني، هناك نار لمن أساء إلى عبادي، هناك نار لمن ينى مجده على أنقاض الناس، وبنى حياته على موتهم، وبنى عزه على ذلهم، وبنى عناه على فقرهم، لا تنظلم (ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ) هنا عباد جمع عبد، قلنا سابقاً: غالباً في القرآن الكريم عبد تجمع على عبيد، وهم عبيد القهر، وكل الناس عبيد لله، شاؤوا أم أبوا، وعلى عباد هم عباد الشكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold">وَإِذَا جَاءَ الرَّحْمَنَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا  
(63)

[ سورة الفرقان ]

هنا جمعها على عباد للإشارة إلى جميع عبادته، أي الله تعالى يخوف بها عباده، عبادته مؤمنهم وغير مؤمنهم، وإن كان المؤمن أشد تخويفاً بالله من غيره، أي نحن الآن لو كنا في مجلس، هذا المجلس أتم كلكم من عباد الله، عباد الشكر إن شاء الله، إذا ذكرت لكم عن النار تشعرون بالخوف، لو كان يجلس معنا شخص لا يوجد عنده إيمان أبداً، وسمع هذا الكلام لا يتأثر، تخوفه فلا يخاف، لأنه لا يدرك عظمة الله تعالى، الإنسان يخاف إذا أدرك، ولا يخاف إذا لم يدرك.

لو فرضنا أننا في بستان، وطهر حنش كبير لدغته قاتلة، جميعنا تنهض خائفين، لو بيننا ولد صغير عمره سنة، ربما يقترب من النعنان ويضع يده عليه أو في داخل فمه، هل هو شجاع أكثر منا؟ لا، لكن نحن ندرك ما معنى النعنان، هو لا يدرك، فالذي يدرك يخاف، والذي لا يدرك لا يخاف.

فالذي تخوفه بالله فلا يخاف هو لا يعرف الله، ولا يعرف عظمة الله، لذلك **(يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ)** حتى المؤمن، بل هم أولى الناس تخويفاً بالعذاب، أنت عندما تسمع أن عند الله عذاباً تصير تعد للمليون قبل أن تظلم إنساناً، وغيرك من عبيد القهر يسمع الآية ولا يتأثر، ولا تتحرك به شعرة، لأنه لا يدرك فلا يخاف.

تقاء عذاب الله بطاعته والابتعاد عن كل ما يُعبد من دون الله:



التقوى جزء من الخوف

**(يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ بِأَعْيَانِ قَائِلُونَ)** حذف الباء تخفيفاً، وهي وجه لغوي، تقول: يا عبادي، أو يا عباد الكسر، وتشير إلى الباء المحذوفة، ونسبهم إلى ذاته تشريفاً لهم **(قَائِلُونَ)** التقوى جزء من الخوف، أو هي الخوف، أن تتقي عذابه بطاعته، وأن تتقي ناره بأسباب دخول جنته **(بِأَعْيَانِ قَائِلُونَ)** هؤلاء على الطرف الأول، في الطرف المقابل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَتَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17)

[ سورة الزمر ]

الطاغوت؛ على وزن فعولت، مثل ملكوت، رحمت، والطاغوت أي مبالغة في الطغيان، والطغيان هو مجاوزة الحد، وفي القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold">لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ</span> <span style="font-weight:bold">فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ  
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)</span>

[ سورة البقرة ]

والطاغوت هو كل ما يعبد من دون الله، من الأقباء، من الأغنياء، إذا اجتنبت الطاغوت وهو كل ما يعبد من دون الله، وما قال: الذين لم يعبدوا الطاغوت، وإنما قال: **(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا)** والاجتناب أعلى مرتبة من الترك، من مجرد الابتعاد، اجتناب، أنت عندما تكون في تيار عال خطر الموت تحتبه، أي ترك بينك وبينه هامش أمان، وعندما يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ  
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)

[ سورة المائدة ]



إن للمعصية قوة جذب فاجتنبها

فيا ترى أحدهم متوهماً أو مغرضاً، فيقول: لم يقل تعالى إن الخمر حرام، وإنما قال: (فَاجْتَنِبُوهُ) أي من دونه أحسن، هذا فهم سقيم، لا علاقة له بلغة ولا بشرح (فَاجْتَنِبُوهُ) أي ابتعدوا عنه، ما قال لك: لا تشرب، ابتعد، لأنك إذا جلست في مجلس يدار فيه الخمر ستجذب إليهم، فإن للمعصية قوة جذب فاجتنبها، فالاجتناب أشد من أن يقول لك: حرام، وهذا معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر:

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: } **لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة:**

عاصرها، ومغتنصرها، وشاربها، وساقبها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وواهبها، وأكل ثمنها {

[أخرجه الترمذي]

أي كل من لا يجتنبها ملعون، واللعن لا يكون إلا على محرم.

فاجتنبوا الطلغوت؛ أي تركوا بينهم وبين ما يعبد من دون الله هامش أمان، فلا هم نافقوا لقوي، ولا هم تجاوزوا حدودهم في طاعة الله عز وجل، واجتنبوا الطلغوت (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلَاقَاتِ أَنْ يَعْذُوبَهَا) أي اجتنبوا أن يعبدوا الطلغوت، اجتنبوا عبادة الطلغوت، وكما قلنا: الطلغوت هو كل ما يعبد من دون الله، اليوم السلطة طلغوت، لأنها تدفع الإنسان إلى تجاوز الحد، إلا من أخذها بحقها، المال طلغوت، المال الكثير إذا لم يكن هناك تربية إيمانية فهو طلغوت، يطغى الإنسان في الأرض، المرأة بالحرام طلغوت، الإعلام طلغوت، الناس اليوم يعبدون الشهرة، ويعبدون الإعلام، كل ما يعبد من دون الله فهو طلغوت.

**الجنة مآل من رجع إلى الله في كل أمور حياته:**

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلَاقَاتِ أَنْ يَعْذُوبَهَا وَاتَّابُوا إِلَى اللَّهِ) أنابوا؛ أي رجعوا، عندنا توبة، وإنباء، وأوبة، قالوا: التوبة أول مرحلة، والإنباء ثاني مرحلة، والأوبة الثالثة، هذه الكلمات الثلاثة فيها معنى الرجوع، تاب؛ رجع، أناب إلى ربه؛ رجع إليه، أب إليه؛ رجع إليه، كلها فيها معنى الرجوع، لكن هي مراتب، فقالوا: التوبة تكون لعموم المؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)

[ سورة النور ]

و الإنباء تكون للصالحين، أي مرتبة أعلى، والأوبة للأنبياء والمرسلين، أبواب كثير الرجوع إلى الله، هذه بعض المعاني للتفريق بين التوبة، والإنباء، والأوبة، لكن كلها بمعنى الرجوع إلى الله (وَاتَّابُوا إِلَى اللَّهِ) رجعوا إليه في كل شؤون حياتهم، رجعوا إليه في كل أمورهم، (لَهُمُ الْبُشْرَى) يبشركم الله تعالى بالجنة، وبالرضوان منه جل جلاله (فَتَبَشِّرْ عِبَادِ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)

[ سورة الزمر ]



الاستماع فيه قصد من الإنسان

(يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ) يوجد سماع، وهناك استماع، السماع؛ كأن تمر أمام إنسان يضع أغنية، والسماع لا يحاسب عليه الإنسان، تركب في حافلة نقل عام، والسائق وضع أغنية ماجنة، سمعتها لكن لم تستمع إليها، السماع عابر بأنيك من غير قصد منك، الاستماع أنت فتحت الجوال ووضعت الأغنية ووضعت السماعات، وقعدت تستمع، جلست لتستمع إليها، فالاستماع فيه قصد من الإنسان.

(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) القول فيه حسن، وفيه أحسن، وربنا عز وجل قال في آية أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ </span> مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55)

[ سورة الزمر ]

هل هناك فيما أنزل من ربنا حسن وأحسن؟ بعض أهل العلم قالوا: هذه أحسن هنا ليس للتفضيل، أي اتبعوا الشيء الذي هو أحسن شيء، أي هو كذلك، هو أحسن، والبعض لهم توجيه لطيف (وَإِتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) ربنا عز وجل يقول لك: إذا ظلمت تستطيع أن تأخذ مظلمتك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبْدِي مِنْهَا </span> فَقُمْ عَقًّا وَأُصْلِحْ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ </span> إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

[ سورة الشورى ]

إذا أعطاك خيارين فأنت عندما تأخذ العفو فقد اتبعت أحسن من أنزل إليك من ربك، اتبعت أحسن الخيارين، الأول حسن، لكن الثاني أحسن، عندما يقول لك مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ **<span style="font-weight:bold">** "فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ" وَعَلَى الَّذِينَ  
بُطِغُونُهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)

[ سورة البقرة ]

وأنت مريض لكن مرضك بسيط جداً، أي لا يقعدك عن الصيام، فأخذت بالأحسن وصمت، أو مسافر، وجالس بالفندق، ولا يوجد عندك أي مشكلة بترك الصيام، لا تشعر بأي مشقة، فهذا الصيام أولى بحقك، ولو أفطرت لا شيء عليك، لكن أخذت أحسن ما أنزل إليك من ربك، أحسن.

## هداية التوفيق:



ربنا عز وجل هدى الجميع  
هنا **(الَّذِينَ يَسْمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ)** هداية التوفيق، لأن ربنا عز وجل هدى الجميع، بمجرد ما بعث إليهم الرسل، وأسمعهم الحق فقد هداهم، ما هي الهداية؟ أن تسألني: أين الطريق؟ فأقول لك: من هنا، هديتك أم لم أهدك؟ هديتك إلى الطريق، لكن أنت سلكت أم لم تسلك هذا أمر آخر، هداية أخرى: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ)** هداية التوفيق لما استجابوا لهداية الدلالة، أي هؤلاء الذين اختصهم الله من خلقه أنهم يسمعون فينبعون، وهناك أشخاص هداهم الله ابتداءً لكن سمعوا ولم يتبعوا فأصلهم الله، فالأصل أنت هل استجبت للهداية أم لم تستجب؟

**(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)** أي أصحاب الفكر الراجح، والفكر النير، واللب الذي فيه فهم، وإدراك لحقائق الحياة، وإلا كل الناس يقولون: نحن أولو آلباب عندنا لب، لكن ليس المقصود من أولي الآلباب بمعنى أن كل إنسان ذو لب، وإنما أولو الآلباب من يسير وفق منهج الله تعالى، من قاده فكره إلى الحق ولم يقده إلى الباطل، هؤلاء أولو الآلباب، كأن تقول مثلاً: فلان عنده سكري، والله أنا عندي سكري أيضاً، لا، هو عنده سكري زيادة، إلسكري عندك 90، والسكري عنده 230، فأنت لا يوجد عندك سكري، هو عنده سكري، فإذا قلت: كلنا عندنا سكري، صحيح، لكن هذه النسب تختلف، فعندما يقول تعالى: **(وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)** ليس المعنى أن كل إنسان عنده لب، وأنا عندي لب، لا، الذي قاده لبه، عقله - إن صح التعبير - فكره إلى الحق فهذا **(أُولُو الْأَلْبَابِ)** والثاني ليس من أولي الآلباب، لأن لبه قاده إلى المعصية والحرام، فهذا ليس من أولي الآلباب.

والحمد لله رب العالمين